# أساليب الحجاج 2 - مقومات الحجاج اللغوي والبلاغي



## تقديم

للحجاج مقدمات تخضع للاختيار، واختيار المقدمات يخضع بدوره لطريقة العرض (إجادة الكلام والكتابة وفن التعبير)، فطريقة العرض وتقنياته اعتبرت في الماضي روح الخطابة. لقد ظهرت منذ السبعينيات من القرن العشرين نظريات لسانية، حاولت تجاوز المفهوم التقليدي للحجاج، كما أرسى دعائمه أرسطو، وطوره أنصار البلاغة الجديدة. وتقوم هذه النظريات على أن اللغة تؤدي بالأساس وظيفة حجاجية؛ فالحجاج يعتمد، إضافة إلى الاستدلال العقلي، عوامل التأثير العاطفي وبلاغة شكل الخطاب. إنه من هذا المنظور علاقة بين عملين لغويين لا بين قضيتين، ومن هنا بات بالإمكان فحص مختلف الأساليب والظواهر اللغوية : الدلالية، والصوتية، والتركيبية، والصرفية، والبلاغية.. من منظور حجاجي.

فما هي الخصوصيات الحجاجية لبعض الأساليب اللغوية والبلاغية ؟ وما هو الدور الحجاجي للأساليب النحوية والبلاغية ؟

## التمثيل

1. جاء في النص التطبيقي لنجيب العوفي: "وعلى الرغم من المحاولات الدائبة التي قام بها دعاة التجديد والابتداع لزعزعة هذا "العمود الحديدي"، إلا أن رسوخه كان أقوى.."
2. وجاء في نص "من البنية إلى الدلالة" : " وإذا نحن تأملنا هذه المقطع الأول بصرف النظر عن تسلسل الكلام في أبياته ألفناه يصرف عناصر ثلاثة ثم تحديدها في البيت الأول "
3. وجاء فيه أيضا : " على أن الذي ينفي نفيا نهائيا ظرف النداء ونصه إنما هو البيت الأخير المتضمن لنص الجواب.."
4. وجاء في نص " المنهج البنيوي" : " لم يتعرض البنيويون بشكل مباشر لتحديد علاقة الأدب كأعمال إبداعية ـ بالحياة، لأنهم منذ البداية جددوا مجال عملهم : إنه ليس لغويا، ولكنه ميتالغوي"
5. قال تعالى : " مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " (سورة الجمعة ـ آية : 5)
6. وقال أبو تمام : لا تسقني ماء الملام فإنني صبٌّ قد استعذبتُ ماء دموعي
7. يقول البارودي في قصيدته (لي في من مضى مثلُ) : قؤول، وأحلام الرجال عوازبُ صؤول، وأفواه المنايا فواغرُ – زُرُقٌ حوافرُه، سُودٌ نواظـــرهُ خُضْرُ جحافله، في خلْقه مَيَلُ
8. " هذا الناقد بنيوي المنهج، إذن فإنه سيصف البنية الناظمة للنصوص التي يحللها. "
9. ولا اختلاف بين هذين المقطعين إلا في الظرف يأتي بيتا واحدا على ستة أبيات في الأول، وبيتين على ثلاثة في الثاني، ولكنه اختلاف اتساق يحكمه منطق هندسي دقيق"( من نص:"من البنية إلى الدلالة")
10. يقول الكاتب في نص (من البنية إلى الدلالة) : " وقد سيطر التقابل على بنية القصيدة حتى قابل ظرف المقطع الأول ظرف المقطع الثاني، ونفى الجواب في المقطع الثاني النداء في المقطع الأول ".

## التحليل

### أساليب الحجاج اللغوية

1) أعتمد العوفي في المثال الأول على التوصيف (العمود الحديدي)، للتعبير عن وجهة نظره تجاه الموضوع، وهي وجهة نظر تُضمر أحكام قيمة تستهجن صرامة الأسس الشعرية في "عمود الشعر" من خلال النعت، الذي نهض بدور حجاجي لكونه يُفضي إلى إصدار حكم إيجابي للتحسين أو التقدير، أو حكم سلبي للتقبيح والاستهجان. لذا فالملفوظ الحجاجي على عكس الملفوظ الاستدلالي يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات، وهو مُعطى محفوف بالغموض.

إن من مظاهر اختيار المعطيات وجعلها ملائمة للحجاج اختيار النعوت أو الصفات Lيس چهويخ ديس قواليفيچاتيونس فالصفات تنهض بدور حجاجي يتمثل في كون الصفة إذ نختارها تجلو وجهة نظرنا وموقفنا من الموضوع ويبدو هذا خاصة حين نجد صفتين متناظرتين ولكنهما متعارضتان قابلتان لأن تظهرا في الخطاب، ويكون اختيار إحداهما كاشفا عن رؤيتنا الخاصة، فأن نقول مثلا "إن فلانا سارق"، يكون القصد الحجاجي من إطلاق الصفة هو تحديد نوع الموقف الذي ينبغي أن يحكم به عليه، أي نوع العقاب الذي عليه أن يلقاه. إن من مقومات الحجاج النعوت باعتبارها مُفضية إلى التصنيف.

2) صيغ المثال الثاني تركيبيا باعتماد أسلوب الشرط حيث تلازمت النتيجة الكائنة في جواب الشرط، بتحقق فعل الشرط، وارتبطا سببيا تتابعيا. ويعبر الشرط عن التفكير الاستنتاجي واستدعاء السابق اللاحق.

3) في المثال الثالث : تكمن حجاجية أسلوب القصر في الحصر؛ حيث يُضيِّق الإمكانات الحجاجية للقول ويقيدها في معنى واحد.

4) ينفي الكاتب في المثال الرابع عن المنهج البنيوي تحليل النصوص الأدبية في إطار علاقتها بما هو خارج النص. وحجاجية النفي تتمثل في كونه لا يرد إلا في مقام مواجهة الغير والرد على إثباتِ حاصلٍ أو ممكن الحصول من قِبل الغير.

5) في المثال الخامس آية كريمة فيها تشبيه، وحجاجيتها في وضوح المشبه به وقوته. وفي المثال السادس استعارة ، وهي أقوى تأثيرا من التشبيه. و تكمن حجاجية الصور في المثالين الخامس والسادس في حفزها للمتلقي على البحث عن العلاقة التي تجمع بين الطرفين، وهي علاقة يمكن اعتبارها علاقة استلزامية، تتحدد في التوضيح والإفهام. علما أن الاستلزام والاستدلال عموما في الحجاج ينبني على النسبية والاحتمال، وليس على اليقين كما هو الشأن في البرهان.

من الأشكال والصيغ اللغوية ذات المدى الحجاجي الوجوه أو الصور البلاغية Fيعوريس التي كثيرا ما نُظر إليها نظرة أدبية حصرتها في وظيفة التحسين والتنميق. ومن هذه الصور البلاغية التي تساعد على التوحيد بين الخطاب وجمهوره، وتُمهد السبيل إلى إقناعه "التعريف الخطابي"، وهو صورة تُستخدم لا على سبيل شرح معنى كلمة، وإنما لتُبرز بعض المظاهر الحافلة بواقعة ما مما قد يعزب عن ذهن السامع. ومن هذه الصور البلاغية كذلك الكناية والمجاز المرسل، والاستدراك، والإسهاب L'امپليفيچاتيون ، والالتفات في الأزمنة، وفي الضمائر والتلميح والشاهد والاستفهام..

7) افتخر الشاعر في المثال السابع بتفرده في قول الشعر، وبتميز فروسيته أمام المهالك. ولإيصال هذا المعنى وتقريره في نفس المتلقي، عمد إلى خلق نوع من المشابهة بين الوحدات المعجمية المكونة للشطر الأول، مع مقابلاتها في الشطر الثاني، مشابهة مست المستويين النحوي والصرفي. وهذا التوازي يخلق لدى المتلقي المتعة، ويمكنه من إدراك الحجة بيُسر إذا صيغت في أفكار متقابلة. وهكذا فإن جميع أوجه الموازنات الصوتية تصير وسائل حجاجية مهمة.

وفي نفس قصيدة البارودي تم تكرار بعض الحروف، والكلمات، والصيغ الصرفية، والنسق العروضي.. وغيرها من المواد الصوتية التي يُكْسِبُ تراكمها النصَّ الشعري شعريته. والتكرار اللفظي الخالص يفيد معنى التأكيد أو التكثير أو التعجب، أما تكرار اللفظ واختلاف المعنى (الجناس) فهو تأكيد لاختلاف المعنى. بينما يُضفي الوزن / البحر الشعري على القصيدة توازيا غير منظور بتكرار تفعيلة واحدة أو تفعيلتين على الأكثر. وهذا التكرار (سواء كان صوتيا أو لفظيا أو تكرار مضمون) يوحي بشدة حضور الفكرة المُزمع إيصالها، ويعمل على تثبيتها وضمان إذعان المتلقي لما يُقال. من تم فالتكرار وسيلة حجاجية مهمة أيضا.

لا يمكن دراسة البُنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية، فحتى ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظواهر الشكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولد من إعجاب ومرح وانبساط وحماس لدى الجمهور.

من طرائق العرض الحجاجية اعتماد الإطناب والإيجاز(فالإيجاز خصيصة الآيات المكية لتحريك العواطف، والإطناب خصيصة الآيات المدنية لقيامها على الاستدلال ومقارعة بني إسرائيل بالحجة). والتكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، وكذلك كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول الموضوع وإن تضاربت في شأنه، وذلك للفت النظر إلى أهميته.

من جهة أخرى فإن من أكثر ما يساعد على الإشعار بمدى حضور الحدث الإشارة إلى مكان وزمان حدوثه، واستخدام اللفظ الحسي المجسد دون اللفظ المجرد، كقول شكسبير " أولئك الذين اخترقت خناجرهم جسد القيصر" بدل أن يقول (أولئك الذين قتلوه)، فمن

شأن اللفظ الحسي أن يزيد في درجة الحضور.

نستنتج أن انتقاء المتكلم لمفردات لغته وتشكيله الفني للمادة الصوتية لا يخلو من مقصدية ودلالة وطويَّة تتناسب ومعطيات مقام معين. وهذا هو سر القيمة الحجاجية لتلك المكونات اللغوية والفنية.

## الروابط اللغوية / الحجاجية

الربط بين القضايا بواسطة أدوات الاستئناف التي تبني النتيجة على السبب، أو تُحدث هرمية في شأن القيم، مثل ( الواو، لكن..) ومن ذلك أيضا عبارات من قبيل (رغم أن، وإن كذا.. فإن..)، إنها تقنيات تُتيح للخطيب سلاسة انقياد السامعين إلى حيث يريد أن يقودهم. والكثير من الروابط اللغوية / الحجاجية، مثل : (حروف العطف، لكن، إذن، لهذا، حتى ...) تؤدي وظيفة حجاجية تتحدد في نوعية العلاقة التي تربط بها بين السابق واللاحق من الأقوال.

إذا سلمنا بأن اختيار المفردات يخضع لمقصدية المتكلم الحجاجية، فإن هذا الانتقاء يخضع بدوره لسُلمية حجاجية تتجه تصاعديا من الأدنى إلى الأعلى، ومن الأهون إلى الأقوى، بحيث إن كل قول يصير حجة يُفضي إلى نتيجة. ولنستوعب ذلك أكثر نتأمل الأمثلة التالية :

8) يتضمن المثال الثامن حجة ونتيجة، أما الحجة فهي " هذا الناقد بنيوي المنهج "، وأما النتيجة فهي " فإنه سيصف البنية الناظمة للنصوص التي يحللها"، كما يتضمن رابطا يربط بين الحجة والنتيجة، دالا على الاستنتاج، وهو "إذن".

9) يتضمن المثال التاسع رابطا حجاجيا هو "لكن" يفيد وجود تعارض حجاجي بين ما تقدم الرابط وما تلاه، إذ ما تقدمه يتضمن حجة تخدم نتيجة من قبيل "الظرف هو موطن الاختلاف بين المقطعين" وأما ما تلاه فيتضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة من قبيل :"هذا الاختلاف اتساق"، الشيء الذي وجه القول إلى النتيجة الثانية على اعتبار أن الحجة الثانية أقوى من الأولى.

10) في المثال العاشر نجد الرابط الحجاجي يتمثل في "حتى" التي تربط بين حجتين تخدمان نتيجة واحدة، وهي:"هيمنة التقابل في النص"، غير أن الحجة الواردة بعد الرابط أقوى من الحجة الأولى، لأنها تعكس أسمى تجليات التقابل.

ولنقف عند الروابط المنطقية التي ترعى تماسك أفكار النص الحجاجي وانسجامه:

| الروابط المنطقية | أمثلتها |
|---|---|
| السبب | لأن – بما أن – بسبب ... |
| الاستنتاج | بناء على ذلك – لهذا – إذن – نتيجة ذلك – وعليه – تأسيسا على ما سبق ... |
| التعارض | غير أن – في حين – لكن – على الرغم من – خلافا لذلك – بالمقابل ... |
| الافتراض | إذا – فإن – لو – إنْ ... |
| الغاية | لكي – لأجل – قصد – بغية ... |

نستنتج أن الروابط بمختلف أنواعها تمثل البنية المنطقية المتحكمة في بناء النصوص الحجاجية.

## الصيغ والموجهات التعبيرية ذات الوظيفة الحجاجية في عرض المعطيات

الكثير من الصيغ والموجهات التعبيرية تؤدي وظيفة حجاجية، ويمكن أن نذكر من هذه الموجهات :

- التوجيه بالنفي: الذي يفيد في إبطال حجة الخصم، فالنفي إنما هو رد على إثبات فعلي أو محتمل حصوله من قبل الغير (المثال الرابع).
- التوجيه الإثباتي: ويفيد التأكيد على فكرة ما، مثل استعمال "إن" للتوكيد، ويستخدم في أي حجاج.
- التوجيه الإلزامي: وصيغته اللغوية هي الأمر، لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية وذلك على عكس ما قد يُعتقد، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحول معنى الأمر إلى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهلا شرعيا

لتوجيه الأوامر.

- التوجيه الاستفهامي: صيغة ذات قيمة خطابية جليلة إذ يفترض السؤال شيئا تعلق به، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أن اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانا إلى حمل من وُجِّه إليه الاستفهام على إبداء موافقته، إذا أجاب، على ما جاء الاستفهام يقتضيه (ومن هنا كانت أهمية الاستفهام في نوع الخطابة المشاجرية Judiciaire).
- التوجيه بالتمني: ومداره على الصيغ التي تفيد تمنيا، وهذه الصيغ يُستفاد منها الاعتماد على فكرة ما، أو رأي ما، تُقر به المجموعة، مثل" ليته ينجح "، فهو يستند إلى رأي، وهو أن النجاح مرغوب فيه.

وهناك صيغ لغوية أخرى لها بعد حجاجي شأن الأزمنة، واستخدام الضمائر يعوض بعضها بعضا.

نستنتج الكثير من الصيغ والأساليب اللغوية والبلاغية قوة حجاجية، مثل : النفي، والإثبات، والأمر، والاستفهام، والتمني

## وظائف الحجاج

يضطلع الخطاب الحجاجي بعدة وظائــف تبعا لأغراضه وسياقه، منها :

- الاستدلال والبرهنة : تُعتبر هذه الوظيفة ذروة العملية الحجاجية، إذ من خلالها يسعى المحاجج إلى تقديم سلسلة من القضايا ينبثق بعضها منطقيا من بعض، وتحديد موقفه وفق استراتيجية معينة، مع الحرص على التأثير في المتلقي من أجل التصديق والانفعال.
- الإقتناع / الوظيفة التصديقية : وتعني هذه الوظيفة حمل المتلقي على التصديق، انطلاقا من مقدمات تؤدي إلى نتائج، أو بواسطة نسق استدلالي يترك للمتلقي فرصة استخلاص النتائج أو العبر بنفسه، فيقنع المرء نفسه بواسطة أفكاره الخاصة وبحرية اختياره القائم على العقل.
- الاقناع / الوظيفة التأثيرية : تتوخى الوظيفة الدفع بالمتلقي إلى التأثر والانفعال، واتخاذ موقف أو مواقف عملية، فمُرسِل الخطاب هو الذي يقنعه، وسبيله هو الاستمالة من خلال دغدغة عواطفه، وحُسْن توظيف الجانب الفني. إن مستوى الإقناع والتأثير يأخذ عدة مسارات انطلاقا من استراتيجية المرسل وأهدافه ومقام إلقاء الخطاب.
- التداول : تقليب النظر في مشكل ما قبل أن يُؤخذ قرار ما في حقه.